آثار الإمام ابن قيّم الجوزيّة وما لحقها من أعمال
(٤)

مطبوعات المجمع

الرسالة التبوكية

تأليف
الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيّم الجوزيّة
(٦٩١ - ٧٥١)

تحقيق
محمد عزير شمس

إشراف
بكر بن عبد الله أبو زيد

تمويل
مؤسسة سليمان بن عبد العزيز الراجحي الخيرية

دار عالم الفوائد
للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد، فهذه الرسالة التي بين أيدينا من مؤلفات الإمام العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله، وقد كتبها في المحرم سنة ٧٣٣ بتبوك، وأرسلها إلى أصحابه في بلاد الشام، فسُمِّيت بـ«الرسالة التبوكية». فَسَّر فيها المؤلف قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، وذكر أن من أعظم التعاون على البر والتقوى التعاون على سفر الهجرة إلى الله ورسوله باليد واللسان والقلب، مساعدةً ونصيحةً وتعليماً وإرشاداً. وبيَّن أن زاد هذا السفر العلم الموروث عن النبي ﷺ، وطريقه بذل الجهد واستفراغ الوسع، ومَركبه صِدقُ اللجأ إلى الله والانقطاع إليه بالكلية وتحقيقُ الافتقار إليه من كل وجه. ورأس مال الأمر وعموده في ذلك إنما هو دوام التفكر والتدبّر في آيات القرآن، بحيث يستولي على الفكر ويشغل القلب، وتصير معاني القرآن مكان الخواطر من قلبه.

ثم استطرد إلى بيان كيفية تدبُّر القرآن وتفهُّمه والإشراف على عجائبه وكنوزه، ففسَّر الآيات ٢٤ ـ ٣٠ من سورة الذاريات، واستنبط أسرارها وأثار كنوزها وأفاض في بيانها، ليُجعَل ذلك نموذجاً يُحتذَى في تدبر القرآن.

ثم ذكر المؤلف أن من أراد هذا السفر فعليه بمرافقة الأموات الذين هم في العالم أحياء، فإنه يبلغ بمرافقتهم إلى مقصده، وليحذر من مرافقة الأحياء الذين هم في الناس أموات، فإنهم يقطعون عليه طريقه. وعليه أن يكون واقفاً عند قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]، متدبراً لما تضمنه من حسن المعاشرة مع الخلق، وأداء حق الله فيهم، والسلامة من شرهم.

وفي أثناء الرسالة تحقيقات منثورة في الكلام على الآيات والأحاديث، وبيان حقيقة هذه الهجرة ومقتضياتها وآثارها وانقسام الناس إزاءها، تُشوِّق القارىء إلى الاستفادة منها، وسلوكِ الطريق القويم في سفره إلى الله، الذي هو غاية كل عبد منيب.

* طبعات هذه الرسالة:

نظراً إلى أهمية هذه الرسالة وما تضمنته من معانٍ جليلةٍ طُبعت عدَّة مراتٍ بعناوينَ مختلفة، أولاها بعنوان «الرسالة التبوكية» بمراجعة واهتمام الشيخ عبدالظاهر أبي السمح إمام وخطيب الحرم المكي الشريف، بالمطبعة السلفية بمكة المكرمة سنة ١٣٤٧. وطبعت أيضاً بعنوان: «زاد المهاجر إلى ربّه» وبعنوان: «تحفة الأحباب في تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾﴾»، وتوالت طبعاتها بالاعتماد على الطبعة الأولى دون الرجوع إلى أصولها الخطية، وكثُر فيها التصحيف والتحريف والسقط، حتى أصبح النصُّ غامضاً

في مواضع كثيرة يَقِفُ القارىء فيها حيران لا يهتدي إلى الصواب.

وقد صدرت أخيراً طبعة جديدة لها بتحقيق الشيخ سليم الهلالي عن مكتبة الخراز في جدة ودار ابن حزم في بيروت سنة ١٤١٩، اعتمد في إخراجها على نسخة برلين (الآتي وصفُها) والطبعة الأولى التي سبق ذكرُها، واستدرك في هذه الطبعة الفصل الأخير الذي خلت منه الطبعات السابقة، واستفاد بعض التصحيحات من المخطوطة التي رجع إليها، ولكنَّه جرياً على عادة كثير من المشتغلين بكتب التراث وجَّه جُلَّ اهتمامه إلى تخريج الأحاديث والآثار وترجمة الأعلام ونَقْل كلام المؤلف من كتبه الأخرى في صفحات، حتى خرج الكتاب مع ترجمة المؤلف والتعليقات والفهارس في أكثر من ثلاثمائة صفحة، وهو في المخطوطة المشار إليها ١٣ورقة فقط. أما النصُّ فلم يتمكن من تحريره وضبطه على وجه الصواب في مواضع كثيرة، ويكفي القارىء أن يقارن بين طبعته وهذه الطبعة في الفصل الأخير وفي بقية الفصول، ليدرك الفرق بين الطبعتين. فإني لا أحب الخوض في ذكر الأخطاء والتحريفات وسرد النماذج منها.

* الأصول المعتمدة في هذه الطبعة:

توجد من هذه الرسالة عشر نسخ خطية على ما أعلم، وقد تمكنتُ من الحصول على خمسٍ منها، وفيما يلي وصفُها:

١) نسخة مكتبة الدولة في برلين برقم [٢٠٨٩] (الورقة ١٠٠ب ـ ١١٣أ)، كتبت بخط نسخي، وليس عليها تاريخ النسخ واسم الناسخ،

ولعلها من مخطوطات القرن الحادي عشر. وهي نسخة تامة مقابلةٌ على الأصل المنسوخ عنه، والخطأ فيها قليل، والسقط نادر.

٢) نسخة جامعة أم القرى بمكة المكرمة برقم [٢/١٤٨٩] (الورقة ١٥ب ـ ٣٧أ)، كتبت سنة ١٢٦٩، وهي بخط نسخي جيد، ولكنها كثيرة الأخطاء والتحريفات، وينقصها الفصل الأخير.

٣) نسخة مكتبة الملك فهد الوطنية [رقم٢٢ مجموعة الدلم] في عشرين ورقة، كتبت سنة ١٢٨٤، بخط نسخي، وهي توافق النسخة السابقة في التحريف والسقط، وينقصها أيضاً الفصل الأخير.

٤) نسخة المكتبة السعودية بالرياض برقم [٨٦/٤٥]، في ٢٢ ورقة، كتبت في القرن الثالث عشر تقديراً، وفي آخرها: «بلغ مقابلةً وتصحيحاً بحسب الطاقة والإمكان على أصلٍ ليس بالقوي». وهي مثل النسختين السابقتين.

٥) نسخة مكتبة الملك فهد الوطنية برقم [٣١٤٧٤٩] من مجموعة شقراء، في ١٦ ورقة، كتبت في شعبان سنة ١٣٥٦، وناسخها محمد بن إبراهيم بن عبدالعزيز بن عبدالكريم بن محمد بن عبدالله، وقد نسخها عن نسخة كتبت سنة ١٣١٦. وعنوان هذه النسخة: «رحلة ابن القيم إلى تبوك»، وهي مثل النسخ الثلاث السابقة.

وبعد دراسة هذه النسخ ظهر لي أن نسخة برلين أصحّ النسخ وأكملها، والنسخ الأربع المذكورة ترجع إلى أصلٍ واحدٍ، فهي تتفق في التحريف والسقط والاضطراب في أكثر المواضع.

* منهج التحقيق:

اتخذتُ نسخة برلين أصلاً لكونها أقدم النسخ وأصحّها، وهي تنفرد بزيادة الفصل الأخير الذي لم يرد في غيرها، وقابلتُها بالنسخ الأخرى، ولم أعدل عن الأصل إلاّ إذا كان ما فيه خطأ ظاهراً أو قراءةً مرجوحةً، واستدركتُ السقط بوضعِه بين معكوفتين. وقد كنت أحصيتُ جميع الفروق والتحريفات في بداية الأمر، ثم صرفتُ النظر عنها، فإن أكثرها تحريفات واضحة من النسّاخ، ولذا اكتفيتُ بالإشارة إلى الفروق التي لها وجه في العبارة، وأشرتُ إلى السقط في الأصل وبقية النسخ ليكون القارىء على بينة. وقد رمزتُ لنسخة برلين بالأصل، ولنسخة أم القرى بـ(ق)، ولنسخة الدلم بـ(د)، ولنسخة المكتبة السعودية بالرياض بـ(ر)، ولنسخة شقراء بـ(ش).

وراجعت أيضاً الطبعة الأولى، فوجدتها كثيرة التحريف والسقط بعد مقابلتها على النسخ الخطية، ولكنها تختلف عنها في مواضع كثيرة، وفيها بعض الزيادات المهمة على الأصل، واختصارٌ في العبارة وخاصةً في الآيات. وقد أشرتُ إليها بـ(ط). ولعل الأصل الذي طبعت عنها هذه الطبعة نسخة دار الكتب المصرية [١٣م مجاميع] (الورقة ١٣٩ ـ ١٤٨) كما ورد ذكرها في فهرس الخديوية (٥١٩/٧) والفهرس الثاني لدار الكتب (٣١١/١). وقد حاولتُ الحصول على هذه النسخة مراراً، فلم أفلح، وقيل لي: إنها لا توجد الآن.

بعد مقابلة الأصل بالمخطوطات والمطبوعة حرَّرتُ النصَّ، وقمتُ بضبطه عند الضرورة، ثم علَّقتُ عليه بما يُوثِّقه ويُزِيل الإشكالَ عنه، ولم أُطِل في هذه التعليقات، فالموضوع في غِنًى عنها، والقارىء الذي يقرأ النصّ ويفهمه بسهولة ليس بحاجةٍ إلى الشرح.

وفي الختام أحمد الله على توفيقه، وأسأله الهدى والسَّدَاد، إنه نعم المولى ونعم النصير.

كتبه

محمد عزير شمس

نماذج من النسخ الخطية

بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ رضي الله عنه وارضاه في كتابه الذي سيره من تبوك تاسع المحرم سنة ثلاث وثلاثين
وسبعمائة من الهجرة النبوية بعد ارساله المنظومة التي اولها اذا طلعت شمس النهار فانها
فصل وبعد حمد الله بمحامده التي هو لها اهل والصلاة والسلام على خاتم انبيائه ورسله محمد صلى
الله عليه وسلم فان الله سبحانه يقول في كتابه وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
واتقوا الله ان الله شديد العقاب وقد اشتملت هذه الاية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم فيما
بينهم بعضهم بعضا وفيما بينهم وبين ربهم فان كل عبد لا ينفك من هاتين الحالتين وهذين الواجبين
واجب بينه وبين الله وبينه وبين الخلق فاما ما بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة فا واجب م
لواجب عليه فيها ان يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم تعاونا على مرضاة الله وطاعته التي هي غاية سعادة
العبد وفلاحه ولا سعادة له الا بها وهي البر والتقوى اللذين هما جماع الدين كله واذا افرد كل واحد
من الاسمين دخل فيه مسمى الاخر اما تضمنا واما لزوما ودخوله فيه تضمنا اظهر لان البر جزء مسمى التقوى
وكذلك التقوى فانه جزء مسمى البر وكون احدهما لا يدخل في الاخر عند الاقتران لا يدل على انه لا يدخل فيه عند
الانفراد ونظير هذا لفظ الايمان والاسلام والايمان والعمل الصالح والفقير والمسكين والفسوق والعصيان
والمنكر والفاحشة ونظائره كثيرة وهذه قاعدة جليلة من احاط بها زال عنه اشكالات كثيرة اشكلت على
طوائف كثيرة من الناس ولنذكر منها هنا مثالا واحدا يستدل به على غيره وهو البر والتقوى فان حقيقة
البر هو الكمال المطلوب من الشيء والمنافع التي فيه والخير كما يدل عليه اشتقاق هذه اللفظة وتصاريفها
في الكلام ومنه البر بالضم لكثرة منافعه وخيره بالاضافة الى سائر الحبوب ومنه رجل بار وبر
وكرام بررة والابرار فالبر كلمة جامعة لجميع انواع الخير والكمال المطلوب من العبد وفي مقابلته الاثم وفي
حديث النواس بن سمعان ان النبي صلى الله عليه وسلم قال جئت تسال عن البر والاثم فالاثم كلمة جامعة للشر والعيوب
التي يذم العبد عليها فيدخل في مسمى البر الايمان واجزاؤه الظاهرة والباطنة ولا ريب ان التقوى جزء هذا المعنى
واكثر ما يعبر بالبر عن بر القلب وهو وجود طعم الايمان وحلاوته وما يلزم ذلك من طمانينته وسلامته وانشراحه
وقوته وفرحه بالايمان فان للايمان فرحة وحلاوة ولذاذة في القلب فمن لم يجدها فهو فاقد للايمان او ناقصه
وهو من القسم الذين قال الله عز وجل فيهم قالت الاعراب امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان
في قلوبكم فهؤلاء على اصح القولين مسلمون غير منافقين وليسوا بمؤمنين اذ لم يدخل الايمان في قلوبهم فيباشر
حقيقته وقد جمع تعالى خصال البر في قوله ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من امن بالله

أول نسخة (الأصل)

مقهورة الثالث علم شاف بحقائق الأشياء وتنزيلها منازلها يميز به بين السم والوهم والزجاجة
والجوهرة فإذا اجتمعت فيه هذه الخصال الثلاثة وساعده التوفيق فهو من القسم الذين
سبقت لهم الحسنى وتمت لهم العناية وهؤلاء هم القسم الأول المذكورون في قول النبي صلى الله
عليه وسلم مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم الحديث وقد تقدم فصل ثم ذكر الشيخ
رضي الله عنه وأرضاه أخبار الربع أشياء إلى أن قال هذا أول الأمر وآخره إنما هو معاملة
الله وحده والانقطاع إليه بكلية القلب ودوام الافتقار إليه فلو وفى العبد هذا المقام
حقه لرأى العجب العجيب في فضل ربه وبره ولطفه ودفاعه عنه وإقبال القلوب عباده إليه
وإسكان الرحمة والمحبة له في قلوبهم ولكن نقول ربنا غلبت علينا شقوتنا وجهلنا وظلمنا وإساءتنا
من أدل شيء منه فيها نحن مقرون بالتفريط والتقصير ومن ادعى غير ذلك وتجاهله فليس معه إلا
[illegible] ذليل حقير فإن تكلنا إلى أنفسنا تكلنا إلى ضيعة وعجز وذنب وخطيئة فواحسرتاه ووا
أسفاه على رضاك ولو غضب كل أحد سواك وعلى إيثار رضاك عملك ومحبتك على ما سواهما
وعلى صدق المعاملة معك فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب
وقد كان يغني عن كثير من هذا التطويل ثلاث كلمات كان يكتب بها بعض السلف إلى
بعض فلو نقشها العبد في لوح قلبه يقرأها على عدد الأنفاس لكان ذلك بعض ما يستحق
وهي من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين
الناس ومن عمل لآخرته كفاه الله مؤنة دنياه وهذه الكلمات برهانها وجودها وكيفيتها
آنيتها والتوفيق بيد الله لا إله غيره ولا رب سواه ثم قال رضي الله عنه وأرضاه واستورد
الأصحاب في هذه الكلمات فإنها والله نفثة مصدور وتنفيس مكروب أقلب طرفي
لا أرى من أحبه وفي الحي من لا أحب كثير ونحن نفس من قد أكل بعضنا بعضا نحو المبتدأ
والخبر ومنها الغنا ومنها الطرب ما في الخيام أخو وجد يطارحه حديث ليلى ولا صب يعارضه
ولا حب معهم مطارحه من تعود عنده دياره وشط عنه مزاره فهو كما قيل يا ناء ويا بين الجوانح

يلعب لعبه ذلك فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه فقال إن كان صادقا
فليحيي نفسه فأمر الوليد دينارا صاحب السجن بسجنه انتهى.
بل أعجب من هذا ما أخرجه الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناده في قصة طويلة
وفيها أن امرأة تعلمت السحر من الملكين ببابل هاروت وماروت
وأنها أخذت قمحا فقالت له بعد أن ألقته في الأرض أطلع فطلع. ثم
قالت أحقل فحقل. ثم فركته. ثم قالت أيبس فيبس ثم قالت له اطحن
فاطحن. ثم قالت له اختبز فاختبز وكانت لا تريد شيئا إلا كان.
والأحوال الشيطانية لا تنحصر. وكفى بما يأتي به الدجال والمعيار
اتباع الكتاب والسنة ومخالفتهما انتهى ما أوردناه ٥ ٥

والحمد لله أولا وآخرا. وظاهرا وباطنا.
وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله
وصحبه وسلم. والحمد لله رب
العالمين ولا حول ولا
قوة إلا بالله العلي
العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم
قال الشيخ العلامة محمد ابن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية رضي الله عنه
وأرضاه في كتابه الذي كتبه في سيره من تبوك ثامن المحرم سنة
ثلاث وثلاثين وسبع مائة ثم قال بعد كلام لم يسبق وبعد
حمد الله الذي هو لها أهلا والصلاة على خاتم أنبيائه ورسله محمد صلى الله عليه وسلم

ثان ... بحاربزا

أول نسخة (ق)

رسوله. فان اساؤا في حقك فقابل ذلك في عفوك عنهم. وان اساؤا
في حقي فاسئلني اغفر لهم واستجلب قلوبهم. واستخرج ما عندهم
من الراي بمشاورتهم فان ذلك احرى استجلاب طاعتهم فاذا عزمت
على امر فالاستشارة بعد ذلك بل توكل وامض لما عزمت عليه من
امرك فان الله يحب المتوكلين. فهذا وامثاله من الاخلاق
التي ادب الله بها رسوله وقال فيها وانك لعلى خلق عظيم. قالت
عائشة كان خلقه القران. وهذا لا يتم الا بثلاثة اشياء احدها
ان يكون العبد طيبا. فاما ان كانت الطبيعة جافية غليظة يابسة
عسر عليها مزاولة ذلك علما وارادة وعملا بخلاف الطبيعة اللينة
السلسة القياد فانها مستعدة لما يريد الحرث والنسل. الثاني
ان تكون النفس قوية غالبة قاهرة لدواعي البطالة والغي والهوى
فان هذه اعداء الكمال. فان لم تقو النفس منازلها يميز به
بين الشحم والورم. والزجاجة والجوهرة. فاذا اجتمعت فيه
هذه الخصال وساعده التوفيق فهو من القسم الذين سبقت
لهم من ربهم الحسنى وتمت لهم العناية. والله اعلم

وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه
وسلم تسليما كثيرا والحمد لله
رب العالمين

آخر نسخة (ق)

[illegible] ابن قيم الجوزية [illegible]

قال الشيخ محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية رضي الله تعالى عنه وأرضاه في كتابه الذي كتبه في سفره من تبوك ثامن المحرم سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة ثم قال بعد كلام لم يسبق وبعد حمد الله الذي هو أهله والصلاة على خاتم أنبيائه ورسله محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله سبحانه يقول في كتابه وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب وقد اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم فيما بينهم في بعضهم بعضا وفيما بينهم وبين ربهم فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين وهذين الواجبين واجب بينه وبين الله وواجب بينه وبين الخلق فأما المعاشرة والمعاونة والصحبة فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعهم بهم وصحبته لهم تعاونا على مرضات الله وطاعته التي هي غاية سعادة العبد وفلاحه ولا سعادة له إلا بها وهي البر والتقوى اللذين هما جماع الدين كله وإذا أفرد كل واحد من الاسمين دخل في مسمى الآخر إما تضمنا وإما لزوما ودخوله فيه تضمنا أظهر لأن البر جزء مسمى التقوى وكذلك التقوى جزء مسمى البر ونظير هذا لفظ الإيمان والإسلام والإيمان والعمل الصالح والفقير والمسكين والفسوق والعصيان والمنكر والفاحشة ونظائره كثيرة وهي قاعدة جليلة من أحاط بها زالت عنه إشكالات كثيرة عدة على طوائف شتى من الناس ولنذكر من أمثلته ما لا يحتاج يستدل به على غيره فأما البر والتقوى فإن حقيقة البر هو الكمال المطلوب من الشيء والمنافع التي فيه والخير كما يدل عليه اشتقاق هذه اللفظة وتصاريفها في الكلام ومنه البر بالضم لكثرة منافعه وخيره بالإضافة إلى سائر الحبوب ومنه رجل بار وبر وكرام بررة والأبرار فالبر كلمة جامعة لجميع أنواع الخير والكمال المطلوب من العبد وفي مقابلته الإثم وفي حديث النواس بن سمعان أن النبي

صوابه وبعد حمد الله الذي هو أهله

فأما ما بينه وبين الخلق صح

الدين ظ

وكون أحدهما لا يدخل في الآخر عند الاقتران لا يدل على أنه لا يدخل فيه عند انفراده

صلى الله عليه وسلم [illegible]

أول نسخة (د)

وأشد ذلك خلق القرآن وهذا يتم بثلاثة أشياء أحدها أن يكون ذهنه
جيداً وأما إن كانت الطبيعة جافية غليظة يابسة عسر عليها من ذلك
علماً ورواية وعملاً بخلاف الطبيعة اللينة السلسة القياد فإنها مستعدة
لما يريد الحرث والنسل الثاني أن تكون النفس قوية غالبة قاهرة
لداعي البطالة والغي ولهو ولأن هذه عدو الكمال فإن تكون
النفس مائلة بجبلتها إلى النعم لعدم اتجاهها والجوهرة فإذا
اجتمعت فيه هذه الخصال وساعده التوفيق فهو من الذين
سبقت لهم من ربك الحسنى وتمت لهم العناية والله أعلم
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم
تسليماً
[illegible]
٢٠٧ م

آخر نسخة (د)

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

قال الشيخ العلامة محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية رضي الله عنه
وأرضاه في كتابه الذي كتبه في مسيره من تبوك ثامن المحرم سنة ثلاث
وثلاثين وسبعمائة ثم قال بعد كلام سبق وبعد حمد الله التي هو أهله هو صح
أهله والصلاة على خاتم أنبيائه ورسله محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله
سبحانه يقول في كتابه وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم
والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب وقد اشتملت هذه الآية
على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم فيما بينهم في بعضهم بعضا
وفيما بينهم وبين ربهم فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين وهذين
الواجبين واجب بينه وبين الله وواجب بينه وبين الخلق فأما
ما بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة فالواجب
عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم تعاونا على مرضاة الله وطاعته
التي هي غاية سعادة العبد وفلاحه ولا سعادة له إلا بها وهي البر والتقوى
اللذين هما جماع الخير كله وإذا أفرد كل واحد من الاسمين دخل في الذي ظ
مسمى الآخر إما تضمنا وإما لزوما ودخوله فيه تضمنا أظهر لأن البر جزء مسمى
التقوى وكذلك التقوى جزء مسمى البر وكون أحدهما لا يدخل في الآخر عند
الاقتران لا يدل على أنه لا يدخل فيه عند الإفراد ونظير هذا لفظ الإيمان
والإسلام والإيمان والعمل الصالح والفقير والمسكين والفسوق والعصيان
والمنكر والفاحشة ونظائره كثيرة وهذه قاعدة جليلة من أحاط بها
زال عنه إشكالات كثيرة عدت على طوائف كثيرة من الناس والغرض
من هذا مثالا واحدا يستدل به على غيره وهو البر والتقوى فأما حقيقة

البر

أول نسخة (ر)

في عفوك عنهم وان اساوا في حقي فاستلين اغراضهم واستجلب قلوبهم واستخرج ما عندهم من الراي بمشاورتهم فان ذلك احرى باستجلاب طاعتهم فاذا عزمت على امر فالاستشارة بعد ذلك التامل فتوكل وامض لما عزمت عليه من امرك فان الله يحب المتوكلين فهذه امثاله من الاخلاق التي ادب الله بها رسوله وقال فيها وانك لعلى خلق عظيم قالت عايشة كان خلقه القران وهذا لا يتم الا بثلاثة اشياء احدها ان يكون العبد طيبا فاما ان كانت الطبيعة جافية غليظة يابسة عسر عليها مزاولة ذلك علما وارادة وعملا بخلاف الطبيعة اللينة السلسة القابلة فانها مستعدة لما يراد بالحرث والنسل الثاني ان تكون النفس قوية غالبة قاهرة له اعني البطالة والغي والهوى فان هذه اعدا الكمال فان لم تقو النفس منازلها غلبت بين الشحم والورم والزجاجة والجوهرة فاذا اجتمعت في هذه الخصال وساعده التوفيق فهو من القسم الذين سبقت لهم من ربهم الحسنى وتمت لهم العناية والله اعلم

وصلى الله على محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والحمد لله رب العالمين

بلغ مقابلة وتصحيحا بحسب الطاقة والله ... على اصل ... بالقوى

ان تجد عيبا فسد الخللا جل من لا عيب فيه وعلا

ما ذا كنتم تعبدون وما ذا اجبتم المرسلين

آخر نسخة (ر)

بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ الإمام العلامة محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي المعروف بابن القيم [illegible]
الله روحه في رحلته إلى تبوك [illegible] سنة [illegible] سبع مائة [illegible]
حمد الله الذي هو له أهل والصلاة على خاتم أنبيائه ورسله محمد صلى الله عليه وسلم قال الله سبحانه في
كتابه وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب
وقد اشتملت هذه الآية على جميع مصالح العباد في معاشهم ومعادهم فيما بينهم بعضهم بعضا و
فيما بينهم وبين ربهم فإن كل عبد لا ينفك عن هاتين الحالتين وهذين الواجبين واجب بينه و
بين الله وواجب بينه وبين الخلق فأما ما بينه وبين الخلق من المعاشرة والمعاونة والصحبة
فالواجب عليه فيها أن يكون اجتماعه بهم وصحبته لهم تعاونا على مرضاة الله وطاعته التي هي غاية سعا
دة العبد وفلاحه ولا سعادة له إلا بها وهي البر والتقوى اللذين هما جماع الخير كله وإذا أفرد كل واحد
من الاسمين دخل في مسمى الآخر إما تضمنا وإما لزوما ودخوله فيه تضمنا أظهر لأن البر جزء مسمى التقوى
وكذلك التقوى جزء مسمى البر وكون أحدهما لا يدخل في الآخر عند الاقتران لا يدل على أنه لا يدخل فيه
عند الانفراد ونظير هذا لفظ الإيمان والإسلام والإيمان والعمل الصالح والفقير والمسكين والفسوق
والعصيان والمنكر والفاحشة ونظائر كثيرة وهذه قاعدة جليلة من أحاط بها زال عنه إشكا
لات كثيرة عدت على طوائف كثيرة من الناس ولنذكر من هذا مثالا واحدا يستدل به على غيره وهو البر
والتقوى فإن حقيقة البر هو الكمال المطلوب من الشيء والمنافع التي فيه والخير كما يدل عليه اشتقاق هذه
اللفظة وتصاريفها في الكلام ومنه البر بالضم لكثرة منافعه وخيره بالإضافة إلى سائر الحبوب ومنه رجل بار و
بر وكرام بررة فالبر كلمة جامعة لجميع أنواع الخير والكمال المطلوب من العبد وفي مقابلة الإثم و
في حديث النواس بن سمعان أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال جئت تسأل عن البر والإثم فالإثم كلمة جا
معة للشر والعيوب التي يذم بها فيدخل في مسمى البر الإيمان وأجزاؤه الظاهرة والباطنة ولا ريب
أن التقوى جزء هذا المعنى وأكثر ما يعبر به عن بر القلب وهو وجود طعم الإيمان فيه وحلاوته
وما يلزم ذلك من طمأنينته وسلامته وانشراحه وقوته وفرحه بالإيمان فإن للإيمان

أول نسخة (ش)

الرسالة التبوكية

تأليف

الشيخ الامام العالم العلامة

شمس الدين محمد بن أبي بكر

المعروف بابن قيم الجوزية

رحمه الله آمين

بمراجعة واهتمام

الاستاذ الشيخ عبد الظاهر أبي السمح

إمام وخطيب الحرم المكى الشريف

عنيت بنشرها للمرة الأولى

المطبعة السلفية - ومكتبتها

لصاحبيها : عبد الفتاح قتلان ومحمد صالح نصيف وشركائهما

بمكة المكرمة « الحجاز »

١٣٤٧

صفحة العنوان من الطبعة الأولى